سؤاله وهو قادر على إعطاء خلقه كلهم سؤالهم من غير أن ينقص من ملكه شيء والمخلوق بخلاف ذلك كله
يكره أن يسأل ويحب أن لا يسأل لعجزه وفقره وحاجته ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم وهب بن منبه لرجل
كان يأتي الملوك ويحك تأتي من يغلق عنك بابه ويظهر لك فقره ويواري عنك غناه وتدع من يفتح
لك بابه بنصف الليل ويظهر لك غناه ويقول ادعني أستجب لك وقال طاوس لعطاء إياك أن تطلب حوائجك
إلى من أغلق بابه دونك ويجعل دونها حجابه وعليك بمن بابه مفتوح إلى يوم القيمة أمرك أن تسأله وو
عدك أن يجيبك وأما الاستعانة بالله دون غيره فلأن العبد عاجز عن الاستقلال بجلب مصالحه
ودفع مضاره ولا معين له على مصالح دنياه ودينه إلا الله عز وجل فمن أعانه الله فهو المعان ومن خذله فهو
المخذول وهذا تحقيق معنا قول لا حول ولا قوة إلا بالله فإن المعنى لا تحول للعبد من حال إلى حال ولا قوة
له على ذلك إلا بالله وهذه كلمة عظيمة وهي كنز من كنوز الجنة فالعبد محتاج إلى الاستعانة بالله في فعل
المأمورات وترك المحظورات والصبر على المقدورات كلها في الدنيا وعند الموت وبعده من أهوال البرزخ
ويوم القيمة ولا يقدرون على الإعانة على ذلك إلا الله عز وجل فمن حقق الاستعانة عليه في ذلك كله أعانه
وفي الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم قال احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجزن ومن ترك الا
ستعانة بالله واستعان بغيره وكله الله إلى من استعان به فصار مخذولا كتب الحسن إلى عمر بن عبد العزيز
رحمهم الله لا تستعن بغير الله فيكلك الله إليه ومن كلام بعض السلف يا رب عجبت لمن يعرفك كيف يرجو
غيرك وعجبت لمن يعرفك كيف يستعين بغيرك وقوله صلى الله عليه وسلم جف القلم بما هو كائن إلى يوم
القيمة وفي رواية أخرى رفعت الأقلام وجفت الصحف هو كناية عن تقدم كتابة المقادير كلها والفراغ
والفراغ منها من أمد بعيد فإن الكتاب إذا فرغ من كتابته رفعت الأقلام عنه وطال عهده فقد رفعت
عنه الأقلام وجفت الأقلام التي كتب بها من مداده وجفت الصحف التي كتب فيها بالمداد المكتوب به فيها
وهذا من أحسن الكنايات وأبلغها وقد دل الكتاب والسنة الصحيحة الكثيرة على مثل هذا المعنى قال الله عز وجل
ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير وفي صحيح
مسلم عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن الله كتب مقادير الخلائق
قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة وفيه أيضا عن جابر رضي الله عنه أن رجلا قال يا رسول الله
فيم العمل اليوم أفيما جفت به الأقلام وجرت به المقادير أم فيما يستقبل قال بل فيما جفت به الأقلام
وجرت به المقادير قال ففيم العمل قال اعملوا فكل ميسر لما خلق له وخرج الإمام أحمد وأبو داود
والترمذي من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن أول ما خلق الله القلم
ثم قال له اكتب فجرى في تلك الساعة بما هو كائن إلى يوم القيمة والأحاديث في هذا كثيرة جدا يطول ذكرها
وقوله صلى الله عليه وسلم فلو أن الخلق جميعا أرادوا أن ينفعوك بشيء لم يقضه الله عليك لم يقدروا عليه
وإن أرادوا أن يضروك بشيء لم يكتبه الله عليك لم يقدروا عليه هذه رواية الإمام أحمد ورواية الترمذي
بهذا المعنى أيضا والمراد أن ما يصيب العبد في دنياه مما يضره وينفعه فكله مقدر عليه ولا يصيب العبد
إلا ما كتب له في الكتاب السابق ولو اجتهد على ذلك الخلق كلهم جميعا وقد دل القرآن على مثل هذا في قوله
قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا وقوله ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن
ذلك على الله يسير وقوله تعالى قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم وخرج الإمام

احمد من حديث

أحمد من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن لكل شيء حقيقة وما بلغ عبد حقيقة
الإيمان حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه وخرج أبو داود وابن ماجة من
حديث زيد بن ثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم معنا ذلك أيضا واعلم أن مدار جميع هذه الوصية
على هذا الأصل وما ذكرنا قبله وبعده فهو متفرع عليه وراجع إليه فإن العبد إذا علم أنه لن يصيبه إلا
ما كتب له من خير وشر ونفع وضر وأن اجتهاد الخلق كلهم على خلاف المقدور غير مفيد البتة علم حينئذ
أن الله وحده هو النافع الضار المعطي المانع فأوجب له ذلك للعبد توحيد ربه عز وجل وإفراده
بالطاعة وحفظ حدوده فإن المعبود إنما يقصد بعبادته جلب المنافع ودفع المضار ولهذا
ذم الله تعالى من يعبد من لا ينفع ولا يضر ولا يغني عن عابده شيئا فمن علم أنه لا ينفع ولا يضر ولا
يعطي ولا يمنع غير الله أوجب له ذلك إفراده بالعبادة الخوف والرجاء والمحبة والسؤال والتضرع
والدعاء وتقديم طاعته على طاعة الخلق جميعا وأن يتقي سخطه ولو كان فيه سخط الناس جميعا وإفراده
بالاستعانة به والسؤال له وإخلاص الدعاء له في حال الرخاء والشدة بخلاف ما كان المشركون عليه
من إخلاص الدعاء له عند الشدائد ونسيانه في الرخاء ودعاء من يرجون نفعه من دونه قال الله تعالى أفرأيتم
ما تدعون من دون الله إن أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره الآية وقوله صلى الله عليه وسلم واعلم
أن في الصبر على ما تكره خيرا كثيرا يعني أن ما أصاب العبد من المصائب المؤلمة المكتوبة عليه
إذا صبر عليها كان له في الصبر خير كثير وفي رواية عمر مولى غفرة وغيره عن ابن عباس زيادة أخرى
قبل هذا الكلام وهي فإن استطعت أن تعمل لله بالرضى في اليقين فافعله وإن لم تستطع فإن في
الصبر على ما تكره خيرا كثيرا وفي رواية أخرى من رواية علي بن عبد الله بن عباس عن أبيه رضي الله
عنهم رواية أخرى ولكن إسنادها ضعيف زيادة أخرى بعد هذا وهي قلت يا رسول الله كيف أصنع
باليقين قال أن تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك فإذا أنت
أحكمت باب اليقين ومعنى هذا أن حصول اليقين للقلب بالقضاء السابق والتقدير الماضي
يعين العبد على أن ترضى نفسه بما أصابه فمن استطاع أن يعمل لليقين بالقضاء والقدر على الرضا
بالمقدور فليفعل ومن لم يستطع الرضا فإن في الصبر على المكروه خيرا كثيرا فهاتان درجتان للمؤمن
بالقضاء والقدر في المصائب أحدهما أن يرضى بذلك وهذه درجة عالية رفيعة جدا قال الله عز وجل
ما أصاب من مصيبة إلا بإذن الله ومن يؤمن بالله يهد قلبه قال علقمة هي المصيبة تصيب الرجل فيعلم
أنها من عند الله فيسلم لها ويرضى وخرج الترمذي من حديث أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
إن الله تعالى إذا أحب قوما ابتلاهم فمن رضي فله الرضا ومن سخط فله السخط وكان النبي صلى الله عليه وسلم
يقول في دعائه أسألك الرضا بعد القضاء ومما يدعو المؤمن إلى الرضا بالقضاء تحقيق إيمانه بمعنى
قول النبي صلى الله عليه وسلم لا يقضي الله للمؤمن قضاء إلا كان خيرا له إن أصابته سراء شكر كان خيرا له وإن
أصابته ضراء صبر كان خيرا له وليس ذلك إلا للمؤمن وجاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم يسأله أن
يوصيه وصية جامعة موجزة قال لا تتهم الله في قضائه قال أبو الدرداء رضي الله عنه إن الله إذا قضى
قضاء أحب أن يرضى به قال ابن مسعود رضي الله عنه إن الله بقسطه وعدله جعل الروح والفرح في اليقين